# هل في نصوص الوحي ما هو ظني الدلالة أو الثبوت؟

كتبه غريب الديار بتاريخ السبت ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٤٢

عندما تقرأ قول الله تعالى :

﴿ وَما لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئًا ﴾[النجم: ٢٨]

ثم تتذكر ما هو متقرر عند علماء أصول الفقه, من كون نصوص الوحي أغلبها ظني الدلالة ليس بقطعي, فإنك تحس بأن هناك خلل ما, وخلل كبير جدا

فمن جهة الله يقرر أن الظن لا يغني من الحق شيئا, ومن جهة يرى علماء الأمة أن أغلب الأحكام الشرعية هي ظنية وليست قطعية, فهل نحن نعبد الله بالباطل أم ماذا؟

في هذه السطور سوف أجيبك على هذا السؤال الوجيه, وذلك بعد أن نتعرف على المقصود بظنية الدلالة, وظنية الثبوت, وذلك من خلال المحاور التالية:

- معنى قطعي الدلالة
- معنى قطعي الثبوت
- معنى ظني الدلالة
- معنى ظني الثبوت
- هل في نصوص الوحي ما هو ظني الدلالة فعلا؟
- لماذا يجد الأصوليون بعض نصوص الوحي ظنية الدلالة؟
- هل في نصوص الوحي ما هو ظني الثبوت فعلا؟
- بعض نتائج تطرق الظن إلى نصوص الوحي

### معنى قطعي الدلالة

عند الأصوليين النصوص قطعية الدلالة هي النصوص التي لا تحتمل سوى معنى واحدا, مثل تحريم الخمر والميسر بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجتَنِبوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ ﴾[المائدة: ٩٠]

فكلمة " اجتنبوه " قاطعة في تحريم الخمر لكونها لا تحتمل سوى دلالة واحدة.

**معنى قطعي الثبوت**

يقصد الأصوليون بقطعي الثبوت النص الذي ثبت يقينا مثل القرآن، والأحاديث المتواترة، بحيث لا يتطرق أدنى احتمال في ثبوتها.

**معنى ظني الدلالة**

عكس قطعية الدلالة وهي النصوص التي تحتمل أكثر من معنى، وهي بحسب الأصوليين أغلب آيات الأحكام، ويمثلون لها بأمثلة كثيرة منها قول الحق سبحانه:

﴿ وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقطَعوا أَيدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]

فهذه الآية لم تبين المراد من اليد، فهي تطلق في لسان العرب على اليد التي تبدأ من الرسغ، وتطلق أيضا على اليد التي تبدأ من المنكب، ولذلك كلمة " أيديهما " الواردة في الآية هي ظنية الدلالة بحسب الأصوليين.

مثال آخر يقول ربنا عز وجل:

< يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِذا قُمتُم إِلَى الصَّلاةِ فَاغسِلوا وُجوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرافِقِ وَامسَحوا بِرُءوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ وَإِن كُنتُم جُنُبًا فَاطَّهَّروا وَإِن كُنتُم مَرضى أَو عَلى سَفَرٍ أَو جاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائِطِ أَو لامَستُمُ النِّساءَ فَلَم تَجِدوا ماءً فَتَيَمَّموا صَعيدًا طَيِّبًا فَامسَحوا بِوُجوهِكُم وَأَيديكُم مِنهُ ما يُريدُ اللَّهُ لِيَجعَلَ عَلَيكُم مِن حَرَجٍ وَلكِن يُريدُ لِيُطَهِّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تَشكُرونَ >[المائدة: ٦]

يعتقد الأصوليون أن الباء في "برؤوسكم" ظنية الدلالة، لأنها تحتمل التبعيض والإلصاق ولذلك هي ظنية الدلالة.

والأمثلة كثيرة جدا يصعب حصرها، من أشهرها كلمة القرء الواردة في قوله سبحانه :

< وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُروءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكتُمنَ ما خَلَقَ اللَّهُ في أَرحامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤمِنَّ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبُعولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذلِكَ إِن أَرادوا إِصلاحًا وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذي عَلَيهِنَّ بِالمَعروفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ >[البقرة: ٢٢٨]

فهي تحتمل معنى الحيض ومعنى الطهر.

**معنى ظني الثبوت**

يقصد الأصوليون بقولهم خبر ظني الثبوت خبر الآحاد, وذلك لكونهم لا يجزمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله.

ولذلك هو ليس عندهم يقين مثل المتواتر الذي يعتبرونه قطعي الثبوت .

**هل في نصوص الوحي ما هو ظني الدلالة فعلا ؟**

بعد أن عرفنا معنى ظني الدلالة, علينا أن نسأل أنفسنا هل في نصوص الوحي ما هو ظني الدلالة فعلا ؟!

لكي نجيب على هذا السؤال علينا أن نعود للوحي نفسه, لنعرف ما الذي قال عن نفسه, فالوحي كموضوع, من أكثر المواضيع التي تحدث عنها الوحي نفسه

عند العودة إلى الوحي نجد أن ربنا عز وجل أول ما بدأ بوصف الوحي هو وصفه بصفتين وهما:

نفي الريب عنه مطلقا فقال :

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]

فنفى كل ريب, سواء كان في معانيه, أو في ثبوته, والكتاب كما سبق وبيّنا تشمل الوحي كله قرآنا وسنة, ولرؤية الأدلة على ذلك قم بزيارة مقالنا ما هو كتاب الله ؟

الصفة الثانية هي كونه هدىً للمتقين, والهداية لا تتم إلا بالعلم اليقين, وهذا ينفي عن الوحي احتمال تطرق الظن إلى معانيه.

إذا واصلنا في قراءة القرآن تحديدا نجده ينص على صفة أساسية تنفي احتمال أن يكون بعض الوحي ظني الدلالة, ألا وهي قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤]

فالوحي لم ينزل إلا لبيان ما اختلف فيه, وهذا يقتضي أن يكون قطعيا في دلالاته, وإلا كان مصدرا للاختلاف, لأن الكلمة إذا كانت ظنية الدلالة كانت مصدرا للاختلاف بين الناس, فهذا سيرى أن معناها كذا, وغيره سيرى أن معناها شيء آخر, وهكذا يبدأ الاختلاف, ويصبح الوحي مصدرا للاختلاف وهذا محال, لأنه عكس ما أراد الله عز وجل.

في مقال بعض خصائص الوحي ذكرت بالتفصيل بعض الخصائص التي تثبت أن الوحي كله قطعي الدلالة لا يتطرق له أدنى احتمال بالظن.

إذاً جوابا على السؤال هل في نصوص الوحي ما هو ظني الدلالة فعلا, نقول لا بكل تأكيد فالوحي كله قطعي الدلالة

**بلا شك سوف تقول إذا كان الوحي كله قطعي الدلالة, فكيف تفسر الأمثلة التي يقولها الأصوليون والتي ذكرت بعضها آنفا ؟**

الجواب على هذا السؤال المهم هو أن ألفاظ الوحي إذا عزلناها عن بقية الوحي فسوف تظهر لنا بدلالاتها في اللسان, وهي قطعا ظنية الدلالة, تحتمل معان كثيرة, واحيانا متناقضة, ككلمة القرء مثلا.

لكن إذا نظرنا إلى هذه الكلمات داخل الوحي, فإننا سوف نجد من الوحي ما يحدد المعنى المقصود من الكلمة بشكل قطعي, وتصبح قطعية الدلالة لا تحتمل غير ذلك المعنى.

ولنضرب مثلا على ذلك, وهذا المثل نضربه من باب ليطمئن قلبي لا أكثر, فالمؤمن الحق عندما سمع قوله سبحانه:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]

أيقن أن الوحي قطعي الدلالة ولا ريب فيه مطلقا.

في آية الوضوء ومعنى الباء في " برؤوسكم " يقول الأصوليون أن الباء هنا تحتمل معنيين التبعيض والإلصاق ولذلك هي ظنية الدلالة.

إنهم حين قالوا هذا نزعوا الباء من الوحي وتكلموا عن معانيها في اللسان, ولذلك اختلفوا في القدر الواجب من مسح الرأس, وكأن الله لم ينزل في الوضوء غير هذه الآية.

أما إذا آمنا بالكتاب كله, ورجعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كلفه البلاغ المبين, وجمعنا كل ما في الوضوء من الوحي, سوف نجده صلى الله عليه وسلم مسح برأسه كله, وهكذا تصبح الباء في "برؤوسكم" للإلصاق قطعا لا ظنا, وعليه فهي قطعية الدلالة لا ظنية الدلالة كما يزعمون.

**إذن إذا نظرنا للكلمة من خلال الوحي كله, فإنه وبلا أدنى شك سوف نجدها قطعية الدلالة, أما إذا نظرنا إليها منفردة فهي كجل كلمات اللسان تحتمل معان كثيرة.**

بعد أن عرفت أن نصوص الوحي قرآنا والسنة كلها قطعية الدلالة وبالدليل فإنك سوف تسأل:

**لماذا يجد الأصوليون بعض نصوص الوحي ظنية الدلالة ؟**

في الواقع هذا السؤال مشروع جدا, خصوصا أن إثبات أن الوحي كله قطعي الدلالة أمر ميسور لكثرة الأدلة عليه, لذلك لماذا لم يفطن الأصوليون لهذه الأدلة وظلوا يعتبرون أن نصوص الوحي في أغلبها ظنية الدلالة؟

حتى نستطيع أن نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نعرف أن ما يسمى بأصول الفقه, هو أحد أهم إفرازات المذاهب الفقهية التي سبق وتحدثنا عنها.

والمذاهب تقوم أصلا على ما يسمى بالنصوص الظنية, ومن ثم فإن نفي وجود نصوص ظنية الدلالة, هو نفي للمذهب الذي يقوم عليها, وبالتالي نفي لما يسمى بعلم أصول الفقه من أساسه.

إذا فهمنا ما سبق, سوف ندرك أن الأصوليون يعتقدون مسبقا بشكل جازم أن نصوص الوحي قرآنا والسنة أغلبها ظني الدلالة, ومن ثم فإنهم لا يبحثون عن الدليل على هذه العقيدة الراسخة في قلوبهم التي بنوا عليها دينهم والعياذ بالله, ولذلك لا يزيدهم الوحي إلا شكا وريبة لأنهم لم يؤمنوا به أصلا, فالوحي واحد ولكن مفعوله مختلف حسب المتلقي, يقول ربنا عز وجل

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]

ويقول أيضا:

﴿ وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هذِهِ إيمانًا فَأَمَّا الَّذينَ آمَنوا فَزادَتهُم إيمانًا وَهُم يَستَبشِرونَ۝ وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]

فأهل المذاهب الذين بنوا دينهم على الكفر بتبيان الله لكل شيء لن يزيدهم الوحي قرآنا وسنة إلا طغيانا وكفرا, فهم على خطى أهل الكتاب كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأهل الكتاب قد أخبرنا الله عن حالهم مع الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:

﴿ قُل يا أَهلَ الكِتابِ لَستُم عَلى شَيءٍ حَتّى تُقيمُوا التَّوراةَ وَالإِنجيلَ وَما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلَيَزيدَنَّ كَثيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ طُغيانًا وَكُفرًا فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الكافِرينَ ﴾ [المائدة: ٦٨]

لذلك فأهل المذاهب لا يزيدهم الوحي إلا طغيانا وكفرا, فبدل أن يجدوه نورا وهدى, كما يجده المؤمنون, يجدونه ظلمات وظنا و سببا للاختلاف والعياذ بالله مما أصابهم.

**هل في نصوص الوحي ما هو ظني الثبوت فعلا؟**

إذا طرحت هذا السؤال على أي عالم من علماء أصول الفقه, فسيجيبك نعم بلا شك, فجل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ظنية الثبوت, لا نقطع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها.

إذا تأملت هذا الجواب ستجد أنه بالمحصلة يفيد أنه لا فرق بين الحديث الضعيف, والحديث الصحيح.

فالحديث الضعيف هو حديث لا نقطع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله, نظرا لسبب ما, مثلا أحد الرواة قد وهم, وفي نفس الوقت لا نقطع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله.

إذن إذا كان الحديث الصحيح أيضا لا نقطع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله, فما الفرق بينه وبين الحديث الضعيف؟

وما فائدة كل هذه الشروط التي وضعنا لنحكم بها على صحة الحديث ؟

إن احتمال وهم الراوي وخطأه احتمال وارد فهو بشر, ولذلك حتى نتحرز من أي احتمال ممكن وضعنا شروطا للراوي, وللرواية, نتأكد من خلالها من كون الراوي لم يخطئ أو يهم يهم في هذا الرواية يقينا.

وعليه فإن الحديث الصحيح هو حديث قطعي الثبوت والدليل على ذلك تحقق شرط الصحيح فيه.

نظرا لكون المذاهب التي يدين بها الأصوليون تخالف الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, اضطر الأصوليون في الحط من القيمة العلمية لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوه ظني الثبوت حتى يغطوا على الجريمة النكراء التي ارتكبها مجتهدوا المذاهب.

فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا وخالفه أحد مجتهديهم, التمسوا له العذر بأن الحديث ظني الثبوت, والمجتهد اعتمد على كليات الشريعة الثابتة يقينا عنده, وهكذا تم ببرير مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**بعض نتائج تطرق الظن إلى نصوص الوحي**

إن اعتبار بعض نصوص الوحي ظنية الدلالة هو نسف للإسلام من جذوره, لأنه تشريع للاختلاف في دين الله, فزيد سوف يأخذ معنى وعمر سوف يأخذ آخر, وهكذا يظهر مذهب زيد ومذهب عمر, ويتحول الدين من دين واحد ليس فيه رأي لبشر, إلى أديان بشرية كل يشرع حسب هواه تماما كما أخبر ربنا عز وجل في قوله:

﴿ إِن هِيَ إِلّا أَسماءٌ سَمَّيتُموها أَنتُم وَآباؤُكُم ما أَنزَلَ اللَّهُ بِها مِن سُلطانٍ إِن يَتَّبِعونَ إِلَّا الظَّنَّ وَما تَهوَى الأَنفُسُ وَلَقَد جاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدى ﴾[النجم: ٢٣]

وانظر إلى واقع الناس وسوف تجد الآية منطبقة عليهم, أسماء ما أنزل الله بها من سلطان, سنة وشيعة وزيدية, ومالكية وحنبلية وحنفية, ...

كلهم يتبعون الظن والهوى والعياذ بالله.

من النتائج الكارثية لتطرق الظن إلى نصوص الوحي دلالة أو ثبوتا تشريع معصية الله ورسوله, وذلك إما ابتاع معنى غير الذي أراده الله, أو بمعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أن حديثه ظني الثبوت, فهل بعد هذه النتيجة ما هو أسوأ منها ؟!